فلما أجلى النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير لما ظهر من غدرهم به وخيسهم بالعهد الذي لهم مع المسلمين هنالك اغتاظ كبراء يهود قريظة بعد الجلاء وبعد أن نزلوا بديار بني قريظة وبخيبر فخرج سلام بن أبي الحقيق " بتشديد لام سلام وضم حاء الحقيق وفتح قافه " وكنانة بن بيأبيأبأبي الحقيق وحيي بن أخطب " بضم حاء حيي وفتح همزة وطاء أخطب " وغيرهم في نفر من بني النضير فقدموا على قريش لذلك وتآمروا مع غطفان على أن يغزوا المدينة فخرجت قريش وأحابيشها وبنو كنانة في عشرة آلاف وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان في ألف قائدهم عيينة بن حصن وخرجت معهم هوازن وقائدهم عامر بن الطفيل .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عزمهم على منازلة المدينة أبلغته إياه خزاعة وخاف المسلمون كثرة عدوهم وأشار سلمان الفارسي أن يحفر خندق يحيط بالمدينة تحصينا لها من دخول العدو فاحتفره المسلمون والنبي صلى الله عليه وسلم معهم يحفر وينقل التراب وكانت غزوة الخندق سنة أربع في رواية ابن وهب وابن القاسم عن مالك . وقال ابن إسحاق : سنة خمس . وهو الذي اشتهر عند الناس وجرى عليه ابن رشد في جامع البيان والتحصيل اتباعا لما اشتهر وقول مالك أصح .

تحزبوا قبائل عدة لأنهم بالأحزاب وتسموا المشركين جنود أقبلت الخندق حفر تم وعندما A E أي صاروا حزبا واحدا وانضم إليهم بنو قريظة فكان ورود قريش من أسفل الوادي من جهة المغرب وورود غطفان وهوازن من أعلى الوادي من جهة المشرق فنزل جيش قريش بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة " بزاي معجمة مضمومة وغين معجمة وبعضهم يرويه بالعين المهملة وبعضهم يقول : والغابة والتحقيق هو الأول كما في الروض الأنف " ونزل جيش غطفان وهوازن بذنب نقمى إلى جانب أحد وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف وخرج المسلمون إلى خارج المدينة فعسكروا تحت جبل سلع وجعلوا ظهورهم إلى الجبل والخندق بينهم وبين العدو وجعل المسلمون نساءهم وذراريهم في آطام المدينة . وأمر النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ودام الحال كذلك بضعا وعشرين ليلة لم تكن بينهم فيها حرب إلا مصارعة بين ثلاثة فرسان اقتحموا الخندق من جهة ضيقة على أفراسهم فتقاتلوا في السبخة بين الخندق وسلع وقتل أحدهم قتله علي بن أبي طالب وفر صاحباه وأصاب سهم غرب سعد بن معاذ في أكحله فكان منه موته في المدينة . ولحقت المسلمين شدة من الحصار وخوف من كثرة جيش عدوهم حتى هم النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصالح الأحزاب على أن يعطيهم نصف ثمر المدينة في عامهم ذلك يأخذونه عند طيبه وكاد أن يكتب معهم كتابا في ذلك فاستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة

فقال سعد بن معاذ : قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك ولا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ! والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان عزم عليه .

وأرسل الله على جيش المشركين ريحا شديدة فأزالت خيامهم وأكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم واختل أمرهم وهلك كراعهم وخفهم وحدث تخاذل بينهم وبين قريظة وظنت قريش أن قريظة صالحت المسلمين وأنهم ينضمون إلى المسلمين على قتال الأحزاب فرأى أهل الأحزاب الرأي في أن يرتحلوا فارتحلوا عن المدينة وانصرف جيش المسلمين راجعا إلى المدينة .

فقوله تعالى (إذ جاءتكم جنود) ذكر توطيئة لقوله (فأرسلنا عليهم ريحا) الخ لأن ذلك هو محل المنة .

والريح المذكورة هنا هي ريح الصبا وكانت باردة وقلعت الأوتاد والإطناب وسفت التراب في عيونهم وماجت الخيل بعضها في بعض وهلك كثير من خيلهم وإبلهم وشائهم . وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " .

والجنود التي لم يروها هي جنود الملائكة الذين أرسلوا الريح وألقوا التخاذل بين الأحزاب وكانوا وسيلة إلقاء الرعب في نفوسهم